فضيلة ومنزلة الدعاء

■ بقلم الدكتور علاء الدين البرغوثي

الدعاء يطلق على أمرين: دعاء العبادة، وهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة، لأن المتعبد لله طالب من ربه وداع اياه، ان يقبل منه تلك العبادة والاثابة عليها، فهو العبادة بمعناها الشامل، ودعاء المسألة، وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره او دفعه.

❖ من فضائل الدعاء:

١- الدعاء عبادة عظيمة، قال الله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾ غافر: ٦٠، وقال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(١).

٢- في الدعاء ابتعاد عن الكبر، ويدل عليه قوله عز وجل في الآية السابقة.

٣- ما يعطيه الله تعالى للداعي، فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا بقطيعة رحم، الا اعطاه الله إحدى ثلاث: اما ان يعجل له دعوته، واما ان يدخرها له في الآخرة، واما ان يدفع عنه من السوء مثلها، قال: اذاً نكثر، قال: الله أكثر»(٢).

❖ آداب الدعاء:

الانسان حين يطلب من احد من الناس شيئاً يتأدب معه غاية الأدب، وكلما عظم الطلب اشتد الأدب، والله تعالى هو أحق من طلب، وأحق من يتأدب معه، فللدعاء آداب يتأدب بها الداعي، منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، ومن ذلك:

١- ان يخلص الدعاء لله تعالى، وهذا شرط العبادة، فارق به اهل الاسلام اهل الشرك، وليحذر ان يدعو غير الله سبحانه، كما قال تعالى: **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك من الظالمين ❖ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾** يونس: ١٠٦-١٠٧، وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار»[٣].

٢- الحزم بالدعاء واليقين بالاجابة، قال النبي ﷺ: «لا يقل احدكم: اللهم اغفر لي ان شئت، ارحمني ان شئت، ارزقني ان شئت، وليعزم مسألته انه يفعل ما يشاء لا مرد له»[٤]، وقال ﷺ: «ادعو الله وانتم موقنون بالاجابة، واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»[٥].

٣- التضرع والخشوع والرغبة في فضل الله جل شأنه، والرهبة من عقوبته: لقوله تعالى: **﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾** الاعراف: ٢٠٥، وقوله تعالى: **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً﴾** الأنبياء: ٩٠ .

٤- حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ لما جاء عن فضالة ابن عبيد رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه فقال له او لغيره: «اذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه جل وعلا والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء».

٥- أن يسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لقوله تعالى: **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾** الأعراف: ١٨٠ .

٦- الاعتراف بالذنب، وقد قال ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت «لا إله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين» لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجاب الله له»[٦]، وعند شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار ان تقول: اللهم انت ربي لا إله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت، اعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء[٧] لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر

الذنوب الا انت، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة»[٨].

٧- ألا يدعو الداعي على نفسه ولا على أهله الا بالخير، قال ﷺ: «يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم او قطيعة رحم»[٩] وقال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[١٠].

٨- ان يتخير جوامع الدعاء بدلاً من الحشو والتفصيل الذي لا لزوم له، فقد كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك[١١].

٩- الاكثار من الدعاء والالحاح فيه، مع خفض الصوت بالدعاء، قال تعالى: **﴿ادعو ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين﴾** الاعراف: ٥٥، وقال ﷺ: «اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، انكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»[١٢].

١٠- رفع اليدين واستقبال القبلة، ففي حديث ابي موسى رضي الله عنه ان النبي ﷺ: «رفع يديه فقال: اللهم اغفر لعبيد ابي عامر، ورأيت بياض ابطيه»[١٣]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «استقبل النبي ﷺ الكعبة، فدعا على نفر من قريش»[١٤].

❖ من موانع اجابة الدعاء:

ثمة أمور اذا حصلت من الداعي فإنه متوعد بعدم اجابة دعائه، ومنها: المطعم الحرام، والمشرب الحرام، والملبس الحرام، والتغذية بالحرام، فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ايها الناس! ان الله طيب لا يقبل الا طيباً، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: **﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم﴾** المؤمنون: ١٥، وقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** البقرة: ٢٧١، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»[١٥].

ومنها: الاستعجال في إجابة الدعاء:

صح ان أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل:

يا رسول الله! فما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»[١٦]، وهذا لا ينافي الدعاء بتعجيل الطلب فقد صح ان النبي ﷺ في حديث الاستسقاء قال: «عاجلاً غير رائث»[١٧].

❖ أوقات وأحوال ترجى فيها إجابة الدعوة:

١- عند النداء للصلوات المكتوبة، وعند زحف الصفوف في سبيل الله لقوله ﷺ: «ثنتان لا تردان: او قلما تردان.. الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلحم[١٨] بعضهم بعضاً»[١٩].

٢- بين الأذان والاقامة، لقوله ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة فادعوا»[٢٠].

٣- في السجود، لقوله ﷺ: «اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٢١].

٤- آخر ساعة من يوم الجمعة، لقوله ﷺ: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً الا آتاه الله إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[٢٢].

٥- في أوقات من الليل، وخاصة ثلثه الأخير، قال ﷺ: «ان في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه، وذلك كل ليلة»[٢٣].

وقال ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأعطيه؟ ومن يستغفرني فأغفر له؟»[٢٤].

٦- دعوة الصائم والمسافر والمظلوم والوالد لولده، وعلى ولده، لقوله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»[٢٥] وفي رواية «ودعوة الصائم»[٢٦] وقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه الى اليمن: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٢٧].

٧- دعوة المضطر: المضطر: المكروب المجهود، والله تبارك وتعالى يجيب المضطر اذا دعاه ولو كان مشركاً، فكيف اذا كان مسلماً عاصياً مفرطاً في جنب الله؟ بل كيف اذا كان مؤمناً براً؟ قال تعالى: ﴿**أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء**﴾ النمل: ٢٦ .

٨- يوم عرفة، قال ﷺ: «خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت انا والنبيون من قبلي: لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[٢٨].

٩- دعوة الحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله، لقوله ﷺ: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله، دعاهم فأجابوا وسألوه فأعطاهم»[٢٩].

فيا ترى أين نحن من الدعاء؟ وما حالنا

الهوامش:

١- اخرجه ابو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٨٣٨) واحمد في المسند (١٨٣٧٨) وقال عنه شعيب الارناؤوط: اسناده صحيح.

٢- رواه البخاري في الادب المفرد ٧١٠، والترمذي ٣٥٧٣، وقال عنه: حسن صحيح غريب، واحمد في المسند ١١١٤٩، وقال الارناؤوط: اسناده صحيح.

٣- اخرجه البخاري في كتاب التفسير حديث ٤٤٩٧، باب قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾** البقرة: ١٦٥، وأخرجه مسلم، كتاب الايمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، ح٩٢ .

٤- اخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب في المشيئة والارادة ح ٧٤٧٧، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء ولا يقل: ان شئت، ح ٢٦٧٩ .

٥- اخرجه الترمذي ٣٤٧٩، واحمد في المسند ٦٦٥٥، والحاكم في المستدرك ١٨١٧، وحسنه الالباني، انظر صحيح الجامع ٣٤٥ .

٦- اخرجه الترمذي في سننه ٣٥٠٥، والحاكم في المستدرك ٣٤٤٤، واحمد ١٤٦٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع ٣٣٨٣ .

٧- ابوء: اعترف.

٨- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات باب افضل الاستغفار، ح ٦٣٠٦ .

٩- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ح ٦٣٤٠، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب بيان انه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، ح ٢٧٣٥ .

١٠- اخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة ابي اليسر، ج ٣٠٠٩ .

١١- اخرجه ابو داود ١٤٨٢ وصححه الالباني انظر صحيح الجامعة ٤٩٤٩ .

١٢- اخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ح٢٩٩٢، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ح ٢٧٠٤ .

١٣- اخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة اوطاس ح ٤٣٢٣، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل ابي موسى وابي عامر الاشعريين ح ٢٥٩٨ .

١٤- رواه البخاري، كتاب المغازي، باب دعاء النبي ﷺ على كفار قريش، ح ٣٩٦٠، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى

المشركين والمنافقين ح ١٧٩٤ .

١٥- اخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح ١٠١٥ .

١٦- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، ح٦٣٤٠، واخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب بيان انه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت لم يستجب لي، ح ٢٧٣٥ .

١٧- اخرجه ابن ماجة ١٢٦٩، واحمد ٢٣٥/٤، وقوله: غير رائث، اي غير آجل، والحاكم في المستدرك ١٢٢٩، وقال: الحديث صحيح على شرط الشيخين.

١٨- اي: تشتبك الحرب بينهم.

١٩- اخرجه ابو داود (٢٥٤٠) وقال الحافظ في النتائج: حديث حسن صحيح ٧٧/١، واخرجه الدارمي ١٢٠٠، والحاكم في المستدرك ٧١٢ .

٢٠- اخرجه احمد ١٢٢٢١، والترمذي ٢١٢، وابو يلعى في مسنده ٣٦٧٩ وصحح حسين اسد اسناده.

٢١- اخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ح٤٨٢ .

٢٢- اخرجه ابو داود ١٠٤٨ والنسائي ١٣٩٠، والحاكم في المستدرك ١٠٣٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم.

٢٣- اخرجه مسلم ٧٥٧، كتاب الصلاة، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء.

٢٤- اخرجه البخاري، كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل، ح ٦٣٢١، ومسلم كتاب الصلاة باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والاجابة فيه ح ٧٥٨ .

٢٥- اخرجه البخاري في الادب المفرد ٣٢، وابو داود ١٥٣٦، والترمذي ١٩٠٥، وابن ماجة ٣٨٦٢، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع ٣٠٣٠ .

٢٦- اخرجه البيهقي في الشعب ٣٥٩٤، وابو داود ١٥٣٦، والترمذي ١٩٠٥، وابن ماجة ٣٨٦٢ وحسنه الالباني انظر الصحيحة ٥٩٦ .

٢٧- اخرجه البخاري كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ح ٢٤٤٨، ومسلم كتاب الايمان، باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام.

٢٨- اخرجه الترمذي ٣٥٨٥ وغيره، وهو حسن لغيره وانظر المشكاة برقم ٢٥٩٨، وصحيح الجامع ٣٢٧٤ .

٢٩- اخرجه ابن ماجة ٢٨٩٣، وانظر الصحيحة ١٨٢٠، حديث حسنه الألباني، وقد أخرجه ابن حبان ٣٤٠٠ والبيهقي في الشعب ٤١٠٨ .

